دور الشعر في الأحداث السياسية الكبرى في العصر العباسي الأول

الأستاذ: كاظم عبد فريح - الأستاذ: هاشم داخل حسين.

المقدمة:

من الثابت والمعلوم عند الدارسين والنقاد للأدب تأثر الشعر بالأحداث السياسية ، ومتابعته لها قوة وضعفا ، بل ان بعض الدارسين ذهبوا إلى ابعد من ذلك حين زعموا أن ((الأدب – ومنه الشعر – من السياسة بمنزلة الظل وهو قوي إذا قوي السلطان ،ضعيف إذا تخاذل الملك وهو بين بين حين تكون الدولة بين بين ...)) حتى ((أصبحنا مأخوذين جميعا بهذه الصورة))، غير أن النظرة الفاحصة ستظهر لنا من خلال هذا البحث ان للشعر دوره في توجيه الأحداث السياسية ايضا٠

فالشعر لم يكن ظلا للأحداث السياسية دوما ، وانما كان مسيرا لها في بعض الأحيان ، وسوف لن نقف عند ما تناوله الشعراء في أعمالهم الشعرية من قضايا سياسية ،وانما سنتحدث عن اثر الشعر الذي قاله أصحابه بقصد أو بغير قصد وترتب عليه وضع جديد لم يكن أحد يتوقعها في العصر العباسي الأول وفي الأحداث السياسية الكبرى دون غيرها من الأحداث ما لم تكن ساندة للأحداث الكبرى ، ولم يقتصر هذا الدور للشعر والأدب على أمة دون أخرى فتاريخ أوربا الحديث نرى فيه الدور المـ ثر لكتابات(جان جاك روسو)و(مونتسكيو) و(دورديدرو) في الثورة الفرنسية ، وفي الثورة البلشفية في (روسيا) نلمس هذا الدور في كتابات كل من (تولوستوي) و(جوركي) و(تورجنيف)٠

إن وراء كل حدث سياسي كبير عاملا فنيا في اكثر حالاته ٠ والحياة السياسية في العصر العباسي لايمكن أن تكون بدعا بين الأحداث إنما تخضع وتتأثر بعوامل عديدة ومنها الشعر والأدب بصورة عامة.

لقد دخل الشعر في تسيير الأحداث السياسية في الدولة العربية الإسلامية منذ عهد مبكر، ثم اخذ هذا التدخل بالنمو مع الأحداث وتوسعها ، فلو وقفنا عند الصراع السياسي بين(علي ابن أبي طالب) (عليه السلام) و(معاوية بن أبى سفيان) نجد أن التاريخ يحدثنا إن معاوية أراد الهرب من معركة صفين بعد أن كانت الغلبة لجيش(علي بن أبي طالب)(عليه السلام)، حين اشتد القتال في ليلة الهرير لكنه تذكر أبياتا لعمرو بن الاطنابة التي قال فيها:

أبت لي همتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإقحامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات ... واحمي بعد عن عرض صحيح

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقال معاوية كما يروي صاحب العمدة :

((ولقد رأيتني ليلة الهرير بصفين ـ وقد أتيت بفرس محجل بعيد البطن من الأرض ـ وأنا أريد الهرب لشدة البلوى فما حملني على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الاطنابة ...)).

لولا هذه الأبيات التي حالت دون انسحاب معاوية من القتال لكان للتاريخ وجه أخر غير ما كان عليه.

وكان للشعر دوره أيضا في توحيد القبائل العربية ـ ولو لفترة قصيرة ـ ضد أبي (مسلم الخراساني)في مرو إبان الثورة العباسية ، حيث كانت هذه القبائل تتطاحن فيما بينها لذلك حاول (**نصر بن سيار**) مصالحة هذه القبائل وتحذيرها من الخطر الجديد قائلا :

ابلغ ربيعة في مرو واخوتها أن يغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب
ما بالكم تلقحون الحرب بينكم كأن أهل الحجا عن فعلكم غيب
وتتركون عدوا قد أظلكم ممن تاشب لا دين ولا حسب
ليسوا إلى عرب منا فنعرفهم ولا صميم الموالي إن هم نسبوا
قوما يدينون دينا ما سمعت به عن الرسول ولا جاءت به الكتب
فمن يكن سائلي عن اصل دينهم فان دينهم أن تقتل العرب

فعلى اثر هذه الأبيات توادعت قبائل العرب من (ربيعة ومضر واليمن) على وضع الحرب والاجتماع على قتال (أبي مسلم الخراساني).

وسيكون الوقوف عند دور الشعر في الأحداث السياسية الكبرى في العصر العباسي الأول في ثلاثة مباحث.

المبحث الأول:

دور الشعر في الأحداث السياسية الكبرى في صدر العصر العباسي الأول

لابد من الوقوف عند صدر العصر العباسي الأول لانه عصر مليء بالأحداث السياسية الكبرى ، تلك الأحداث التي أدت إلى ولادة الدولة العباسية ، فبعد أن استوى الأمر للعباسيين على الحكم وظفروا بمن تبقى من الأمويين كاد أن يكون الصلح والسلام بينهم وبين الأمويين لولا أبيات من الشعر جددت الأحقاد في الصدور فأطلقت العنان للسيف ليلعب في الرقاب ، رقاب من تبقى من(**بني أمية**) ، ومن هذه الأبيات قول الشاعر (**سديف**)عندما دخل على (**أبي العباس السفاح**)، و(**سديف**) كان شاعرا مفلقا وأديبا بارعا وخطيبا مصقعا وكان مطبوع الشعر حسنه ، بهذه الصفات استطاع ان يلهب صدر الخليفة العباسي حين قال :

اصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل من بني العباس

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا تقـــيلن عبـــد شـــمس عثـــارا واقطعـــن كـــل رقلـــة وغـــراس
ولقـــد ســـاءني وســـاء ســـوائي قـــربهم مـــن منـــابر وكراســـي
فـــاذكروا مـــصرع الحـــسين وزيـــدا وقتـــيلا بجانـــب المهـــراس
والقتيـــل الـــذي بحـــران أضـــحى رهـــن رمـــس وغربـــة وتنـــاسي
ذلهـــا اظهـــر التـــودد منـــها وبهـــا مـــنكم كحـــر المواســـي
أنزلـــوها بحيـــث أنزلهـــا الله بـــدار الاتعـــاس والانكـــاس

فعلت هذه الأبيات عمل السحر في نفس الخليفة(أبي العباس السفاح)، فأتبعها(سديف) بأبيات أخرى لتكون القاضية على بقايا الأمويين المدعويين عند الخليفة (أبي العباس السفاح)، ومن هذه الأبيات قوله :

لا يغرنـــك مـــا تـــرى مـــن رجـــال إن تحـــت الـــضلوع داء دويـــا
فـضع الـسيف وارفـع الـسوط حتـى لا تـــرى فـــوق ظهرهـــا أمويـــا

واستمر في القصيدة حتى أتى على آخرها ، و(أبو العباس)يغتاظ ويتلون ،فقال له أحد الأمويين الجالسين : يا ابن الفاعلة ألا تسكت ؟ فلما قال ذلك اشتد غضب (أبي العباس السفاح) فامر بضربهم على روؤسهم بالأعمدة ثم جمعهم وامر بالأنطاع فبسطت عليهم ثم جلس فوقهم ،ودعا بالغداء فتغذى وكان بعضهم حيا ومازال يئن من الألم.

لقد نجح (سديف) في تحقيق هدفه للنيل ممن تبقى من الأمويين لانه ذكر (أبا العباس السفاح)بالقتلى الهاشميين الذين قتلوا على يد الأمويين ذكره بمقتل (الحسين بن علي)(عليه السلام) و(بزيد الشهيد (عليه السلام)، كما ذكره بمقتل (المهراس) وهو(حمزة بن عبد المطلب)(عليه السلام)، وذكره بالقتيل الذي بـ (حران) وهو (إبراهيم بن محمد) (عليه السلام)، ثم استكمل تأثيره على الخليفة حين ذكره إن هولاء القوم الذين قتلوا الهاشميين ـ أبناء عم الخليفة ـ هم اليوم يجلسون قربكم وعلى نمارقكم وكراسيكم وانتم تنادون بثارات (الحسين)(عليه السلام) ، حيث ان الثورة العباسية قامت على شـــعار (الرضا من آل محمد) ،لقد ذكر ذلك تلميحا حين قال :

ولقـــد غـــاظني وغـــاظ ســـوائي قـــربهم مـــن نمـــارق وكراســـي

إن أبياته الأخيرة أجهزت على كل الآمال المتبقية لنجاة الأمويين من غضب الخليفة لاسيما وان(في الصدر داء دويا)

وهناك حادثة أخرى لعب فيها الشعر دورا في القضاء على من تبقى من الأمويين ، فقد دخل الشاعر (العبدي) على(عبد الله بن علي) الوالي على فلسطين ، وكان عنده يوم ذاك اثنان وثمانون رجلا من الأمويين وفيهم (الغمر بن يزيد بن عبدالملك) وكان جالسا مع الوالي العباسي على مصلاه فانشد العبدي أبياتا بدأها بقوله

(وقف المتيم في رسوم ديار)

حتى وصل إلى قوله :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمـــا الـــدعاة إلـــى الجنـــان فهاشـــم وبنـــو أميـــة مـــن دعـــاة النـــار
وبنـــو أميـــة دوحـــة ملعونـــة ولهاشـــم فـــي النـــاس عـــود نـــضار
أمـــي مالـــك مـــن قـــرار فـــالحقي بـــالجن صاغـــرة بـــأرض وبـــار
ولـــئن رحلـــت لتـــرحلن ذميمـــة وكـــذا المقـــام بذلـــة وصغـــار

فرفع (الغمر) رأسه للشاعر وقال له : يا ابن الزانية ما دعاك إلى هذا ؟ فضرب (عبد الله بن علي) بقلنسوته على الأرض ، وكانت هذه العلامة بينه وبين أهل (خرا سان)، فامر بضربهم بالعمد حتى ماتوا .

ان القراءة المتأنية لهذه الروايات تظهر لنا ان الحكام العباسيين قد اعدوا العدة لهذه الأحداث ،وكانت هذه الأشعار بمثابة الشرارة التي أشعلت الغضب المتراكم في الصدور تجاه من تبقى من الأمويين ، فحصل ما حصل بدليل وجود هؤلاء الرجال الخراسانيين وهم يحملون العمد ـ في الرواية الأولى ـ في حضرة (أبي العباس السفاح)، ووجود العبارة التالية في الرواية الأخيرة : ((وكانت هذه العلامة بينه- يقصد عبدالله بن علي ـ وبين أهل خراسان)).

ومع كل هذا نجد أن الأشعار صعدت من هذا التحضير وكانت الشرارة التي أحرقت عددا كبيرا ممن تبقى من الأمويين ،وكان من الممكن أن يصبح أحد هولاء الأمويين المقتولين في مجموع هذه الأحداث معارضا قويا ،وربما يؤسس دولة كالتي أسسها فيما بعد(عبد الرحمن الداخل) وأبناؤه (الأندلس) بعدما هرب إلى أخواله في (شمالي أفريقيا)، وشاءت الأقدار إلا ان يكون أحد هولاء المدعويين إلى تلك الولائم التي كان أبطالها الشعراء .

المبحث الثاني:

دور الشعر في أحداث منتصف العصر العباسي الأول ـ تقريبا ـ

حين نقف مرة أخرى عند هذه الحقبة الزمنية من عمر الدولة العباسية الحافل بالأحداث نجد أن للشعر دورا في صياغة بعض أحداثها والتأثير عليها تأثيرا ملحوظا وبارزا . ففي عهد الخليفة(هارون الرشيد)ـ الذي دام حكمه اكثر من (٢٣) سنة مثلت أوج الخلافة العباسية ، والإسلامية قاطبة ـ لعب الشعر دوره في القضاء على (البرامكة) ، وكان سببا مع غيره من الأسباب التي أسهمت وعجلت في هذا القضاء ، حين أظهرهم الشعر في أبهة وتنافس ، بل وتباري مع الخليفة العباسي ،فاغضب هذا الأمر الخلافة وكان دافعا من دوافع القضاء عليهم ، خاصة عندما ازدادت عطاياهم ومنحهم للشعراء ، فأصبحت تفوق عطايا الخليفة العباسي نفسه ، لدرجة أن قال فيهم الشاعر(نصيب) وهو شاعر الخليفة(الرشيد) :

ما لقينا من جود فضل بن يحيى تـرك النـاس كلهم شعـراء

وشكا الشاعر(مروان بن أبي حفصة)ـ وهو شاعر الخليفةـ إلى أحد إخوانه من أن الشاعر (أبان اللاحقي) اخذ من (البرامكة) بقصيدة واحدة مثل ما أخذه هو من الرشيد في حياته كلها ، علما انه كان يأخذ مبالغ ضخمة من الخلفاء العباسيين على قصائده فيهم ، فما مقدار ما كان يعطيه (البرامكة) للشعراء ؟.

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من هنا نجد تزاحم الشعراء على أبواب (البرامكة) ومجالسهم ، وأصبح عددهم كبيرا مما اضطرهم إلى أن يعينوا أبان اللاحقي للنظر في قصائد هولاء الشعراء المتوافدين عليهم.

هذا النظام الذي ابتدعه(البرامكة) في تعاملهم مع الشعراء شاع بعدهم عند الخلفاء والولاة العباسيين ، والخليفة العباسي يعلم ما للشعر من دور خطير في الحياة السياسية والاجتماعية، لذلك لم يخف انزعاجه عندما جعل الشعر (البرامكة)في موضع قريب من موقع الخلافة.

حين نقرا بعض الأشعار التي قيلت (البرامكة) ندرك إن الشعراء قد أنزلوهم منزلة الخلفاء ، بل فضلوهم عليهم ، ونجد مثل هذا الامر في قول الشاعر(نصيب الأصغر):

عنـــد الملـوك مـضرة ومنافـــع وارى البرامـــك لاتـــضر، وتنفـــــع
إن العـروق إذا استـسر بهـا الثـرى أشـــر النبـــات بهـــا وطـــاب المـــزرع
وإذا جهلـــــت مـــن امـرئ أعراقـه وقديمـــه فانظـــر إلـــى مـــا يـصنـــع

وكان(الفضل بن يحيى) يقول للشعراء : إذا قلتم قولوا مثل هذه الأبيات، وإذا مدحتم فامدحوا بمثل هذا الشعر.

ومن المؤكد إن الخليفة(هارون الرشيد) لا يرضى ،بل يستشاط غيضاً حين يسمع قول الشاعر وهو يمدح (البرامكة) :

تـساقط يمنـــاه النـــدى وشمالـــــه الـردى وعيـون القـول منطقـه الفـصل
عجـول إلـى أن يـودع الحمـد مالـــه يعـد النـدى غنمـــا إذا اغتـنم البخـــل
بكـف أبـــي العبـاس يـستمطر الغنـى وتـستنزل النعمـى ويـسترفع النـصل
متـى شئت رفعت الستور عن الغنـى إذا أنـت زرت الفـضل أو أذن الفـضل

الشاعر هنا يمدح(الفضل البرمكي)ويصفه بصفات الخليفة من كرم ، وباس ، ومنطق ويقول عنه بأنه يرفع عنك الفقر إذا ما زرته ، فلابد أن ندرك غضب الخليفة من ذلك ، فمثل هذه الصفات لا يرتضيها الخليفة لغيره من الناس ، ولا حتى لولده وإخوانه ، فكيف يرتضيها للـ (برامكة)، فمثل هذه الأشعار ربما كانت سببا من الأسباب التي دفعت بالبرامكة نحو الهاوية ، لأنها جعلت أعناقهم تشرئب نحو دست الخلافة عندما أوهمهم الشعراء بأنهم لا يقلون شجاعة وكرما ونسبا عن الخليفة.

ان مخاطبة الشعراء لممدوحيهم بصفات الخليفة يغضب الخليفة أيما غضب ، (فألمأمون)استشاط غضبا عندما سمع قول (علي بن جبلة) وهو يمدح (أبا دلف العجلي) بقوله:

كـل مـن فـي الأرض مـن عـرب بـــين باديـــه إلـــى حـــضـره
مـــستعير منـــك مكرمـــــة يكتسيـــسها يـــوم مفتخـــره
إنمـــا الـــدنيا أبـــو دلـــف بـــين باديـــه ومحتـــضـره
فـــإذا ولـــى أبـــو دلـــف ولـــت الـــدنيا علـــى أثـــره

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لما سمع (المأمون)هذه الأبيات قال: ويلي على ابن الفاعلة ، يزعم أنا لا نعرف مكرمة إلا مستعارة من أبي دلف ، وطلبه فهرب إلى(الجزيرة)، فكتب في طلبه وأخذه ، فحمل إليه ،فاخرج لسانه من قفاه ثم قتله.

وقد سبقه أبوه الخليفة(الرشيد)في مثل هذا الغضب من الشاعر المادح والممدوح ، لقد غضب(الرشيد)حين سمع الأشعار التي تصف (البرامكة) بصفات ليسوا بأهل لها ، وهي مما يجب أن يخاطب به الخليفة العربي القرشي ، فكان الشعر أحد الأسباب التي أودت (بالبرامكة) وقضت عليهم إلى غير رجعة ، وابتدأ القضاء عليهم بالتدريج لدرء خطرهم فصرفهم(الرشيد)عام(١٧٩) هـ عن حجابته وقلدها (الفضل ابن الربيع)، وفي السنة التالية ولى عدوهم (عليا بن ماهان)على (خراسان)، وهكذا حتى سقطوا أخيرا سنة(١٨٧) هـ تنبه الخليفة العباسي إلى خطر الشعر في توجيه نظر الممدوح إلى كرسي الخلافة ، وكان هذا التنبه منذ عهد مبكر سبق الخليفة (هارون الرشيد)، فالخليفة(المهدي)غضب على الشاعر مروان بن أبي حفصة لما دخل عليه ، فخاطبه (المهدي)بقوله: الست القائل :

(أقمنا باليمامة بعد معن) وقد ذهب النوال فيما تزعم ، فلم جئت تطلب نوالا ؟ لاشيء لك عندنا ... ثم أمر بجر رجله فجروا برجله حتى اخرج.

وادرك الخليفة (المنصور) بعد ذلك خطورة مثل هذا الامر وغضب عندما أثاب(معن بن زائدة) الشاعر (مروان بن أبي حفصة) ألف دينار ، ولان مجلس معن في صنعاء كان ملتقى الشعراء من الجزيرة وسواها، وهو يتفرغ لهم،يلقاهم ويستمع إليهم ويحكم بنفسه على شعرهم ، ومدى جودته ، وكان يلقاهم بحفاوة خاصة.

وربما كان هذا الامر من الأسباب العديدة التي ازمت العلاقة بين الخلافة العباسية مع الشيبانيين على الرغم من إخلاصهم للخلفاء لاسيما ما فعلوه من دفاع وبلاء للعباسيين في(يوم الهاشمية)التي أبلى فيها معن في الدفاع عن الخليفة.

فالخليفة (هارون الرشيد) لم يخف امتعاضه وغضبه الشديد حين دخل عليه الشاعر (مروان بن أبي حفصة) وتكرر الحدث الذي جرى بين هذا الشاعر والخليفة (المهدي)، فقد ذكره (الرشيد) بما قاله في معن حين ارتفع به إلى مستوى يضاهي مستوى الخليفة ، فيأمر بجره من رجله مثلما حصل له سابقا في حضرة (المهدي).

وأبياته التي قالها في معن والتي غاضت الخليفة هي :

فلهف أبي عليك إذا العطايا ... جعلن مني كواذب واعتلالا
ولهف أبي عليك إذا الاسارى ... شكوا حلقا بأعناقهم ثقالا
ولهف أبي عليك إذا اليتامى ... غدوا شعثا كأن بهم سلالا
ولهف أبي عليك إذا المواشي ... رعت جدبا تموت بها هزالا
ولهف أبي عليك لكل هيجا ... لها تلقى حواملة السحالا
ولهف أبي عليك إذا القوافي ... لممتدح بها ذهبت ضلالا
ولهف أبي عليك لكل أمر ... يقول له النجي إلا احتيالا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أقمنـــا باليمامـــة بعـــ معـــــن وقــد ذهــب النــوال فــلا نـــوالا

وتسببت هذه الأبيات وأشباهها في غضب الخلفاء ، وإذا كان الشاعر المادح ـ مروان بن أبي حفصة ـ قد جر من رجله من مجلس الخليفة ، فأن الممدوح ـ معن بن زائدة ـ قد قتل غيلة وفي ظروف غامضة ، وربما كان قد اغتيل بسبب ما قيل فيه من أشعار خوطب فيها بما يخاطب به الخلفاء .

وحصل مثل هذا الأمر وبسبب الشعر (ليزيد بن مزيد الشيباني) في عهد الخليفة (هارون الرشيد)، فقد كان هو الآخر ملجأ للشعراء ، وقيلت فيه الأشعار التي تسببت في غضب الخليفة عليه ، فارسله الخليفة لمقاتلة (الوليد بن طريف)وهو ابن عمه فاصبح أمام خيارات لا يحسد عليها، فهو أما أن يقتل ابن عمه أو يقتله ابن عمه ، أو يقف إلى جانبه فيقع في غضب الخليفة.

وكان (يزيد بن مزيد) قائدا من قواد الجيش الكبار ، والذي زاد في غضب الخليفة هو انه آوى الشاعر الصعلوك الذي لا يعرف له مستقر ، ولم يطأطىء رأسه في مسالة أحد من الناس ، انه الشاعر(بكر بن النطاح)، وهذا ما أثار غضب الخلفة ، فالخليفة غضب عليه بسبب أبياته التي قال فيها :

ومــن يفتقــر منــا يعــش بحــسامه ومــن يفتقــر مــن ســائر النــاس يــسأل
ونحـــن وصـــفنا دون كـــل قبيلـــة بــشدة بــاس فــي الكتــاب المنـــزل

المبحث الثالث :

دور الشعر في الأحداث السياسية في أواخر العصر العباسي الأول

في أواخر العصر العباسي الأول ـ تقريبا ـ برزت أحداث سياسية كبيرة لعب الشعر دوره في تصعيدها أو في تغيير مساراتها بصورة مؤثرة فيما بعد على ما سواها من أحداث ، وسنقف عند ابرز هذه الأحداث ، وهو الصراع الكبير الذي حصل بين(الأمين والمأمون) . فبعد أن عقد(الرشيد) لابنه(محمد) بمدينة السلام من بعده بولاية العهد ، احذ له البيعة من القواد والجند وسماه بـ (الأمين) وله يومئذ خمس سنين .

وبعد موت (الرشيد) بدأت الفتنة بين(الأمين والمأمون)وقد مر النزاع بينهما بدورين ؛ الأول منهما سلمي (دبلوماسي) إذا جاز لنا التعبير بمصطلحات هذا العصر، وكان هذا الدور بين الأعوام (١٩٣ـ ١٩٥ هـ) ، والثاني(عسكري مسلح)، ابتدأ سنة (١٩٥) هـ ولغاية (١٩٨) هـ ، والذي انتهى بمقتل (الأمين). فما هو دور الشعر في هذا الحدث السياسي الخطير ؟ .

يحدثنا التاريخ أن الخليفة (الأمين)لما بويع وتقرب إليه بعض الشعراء الذين عرفوا باللهو والعبث ، استغل أعداؤه هذا الامر فألبوا الناس ضده مما تسبب في إبعاد الناس عن الأمين بالتدريج حتى رجحت كفة (المأمون) على(الأمين)، فكانت له الغلبة ، ويوم ذاك لم تكن هنالك وسائل إعلام سوى الشعر الذي لعب دورا حيويا في هذا المجال ، إذ كان الوسيلة الوحيدة ـ تقريبا ـ في مخاطبة الأمة والتأثير بهم ، وينقل لنا (الطبري) أبياتا مما يقوله الشعراء للتأثير في الرأي العام ، وهذه الأبيات لشاعر (أهل بغداد)، حيث قال فيها :

أضـــاع الخلافـــة غـــش الوزيـــر وفـــسق الإمـــام وجهـــل المـــشـــير
ففـــضل وزيـــر وبكـــر مـــشيـــر يـــرادان مافيـــه حنـــق الأمـــور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما ذاك إلا طريق غرور ... وشر المسالك طرق الغرور
فهذا يدوس وهذا يداس ... كذاك لعمري اختلاف الأمور
فلو يستعينان هذا بذاك ... لكانا بعرضة أمر ستير
ولكن ذا لج في كوثر ... ولم يشف هذا دعاس الحمير
فشنع فعلاهما منهما ... وصارا خلافا كبول البعير
واعجب من ذا وذا إننا ... نبايع للطفل الصغير
ومن ليس يحسن غسل أسته ... ولم يخل من بوله حجر طير
وما ذاك إلا بفضل وبكر ... يريدان نقض الكتاب المنير
وهذان لولا انقلاب الزمان ... أفي العير هذان أم في النفير
ولكنهما قنن كالجبال ... ترفع فيها الوضيع الحقير
فصبرا ففي الصبر خير كثير ... وان كان قد ضاق صدر الصبور
فيا رب فاقبضهما عاجلا ... إليك وأوردهم عذاب السعير
ونكل بفضل وأشياعه ... وصلبهم حول هذي الجسور

لاشك أن هذه الأشعار وامثالها كانت سببا من الأسباب الأخرى التي غيرت الرأي العام وأنها تسببت في دفع الناس من نصرة الأمين إلى نصرة(المأمون)، وربما سارعت في خلع الأمين حين رجحت كفة (المأمون) عليه هذه الأبيات التي نقلها لنا(الطبري) ـ بغض النظر عن هوية قائلها ـ والتي هي لاحد شعراء(بغداد) لا تخلوا من معاني كثيرة ، ولا يستطيع أحد أن يقول بأنها قيلت بعد مقتل (الأمين)ووزرائه ،وذلك لسبب بسيط لا يخفى على كل لبيب، والشاعر يدعوا ربه - في البيتين الأخيرين - أن يكون مصير وزراء (الأمين) ومستشاريه الصلب على أحد جسور (بغداد) ، أو أن يقبض الله أرواحهم على عجل ، هذا ما نراه ونلمسه بوضوح في هذين البيتين ، فالأبيات إذن قيلت في حياة الوزراء والمشيرين وليس بعد مقتل الخليفة ، فمن المؤكد أن هولاء الوزراء والمشيرين لم تبق لهم وزارة أو أي رأي بعد مقتل الخليفة وليس لهم ضرر على حياة الناس ـ فيما يزعم الشاعر ـ فالقصيدة عكست رأي الناس بالخليفة ووزرائه أو لنقل إنها شوهت صورتهم في أعين الناس ، وهكذا اصبح الشعر أداة رئيسة من أدوات التأثير في الرعية وتوجيههم نحو ما يريده الشاعر أو من يقف خلفه.

بالمقابل نجد أن (المأمون) قرب الفقهاء والعلماء وطلاب العلوم ، هذا ما اخبرنا به الشعراء والكتاب، وكان للشعر دوره في تحسين صورة الخليفة(المأمون)، الذي أضاف إلى ذلك أمورا كثيرة ليكون كما وصفه الشعراء في قصائدهم .

وعند المقارنة نرى ان الشعر لعب دورين أساسيين في حياة الناس بغض النظر عن صحة ما قاله الشعراء في التنفير من الأمين أو الترغيب بـ (المأمون).

لقد كانت الأمور في بداية خلافة الأمين على ما يرام غير ان الأمور أخذت بالتدني فيما بعد بسبب الأشعار ،أو لنقل لأسباب كان منها ،بل من أهمها الشعر ،مثلا قام الشعراء _ولو بشيء من التهويل _بتقبيح أعمال الأمين

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عندما أمر ببناء ميدان حول قصر أبي جعفر في المدينة للصوالجة واللعب ،فقال الشعراء قصائدا في ذلك ، ومنها هذه الأبيات التي قالها شاعر من أهل بغداد لم يذكر لنا (الطبري) اسمه وهي:

بنى أميـن الله ميدانـــا وصير الساحة بستانـا
وكانت الغزلان فيـه بانا يهدى إليه فيه غزلانـا

في حين نجد ان الشعر الذي قيل في المأمون يظهر للعامة علمه وحكمته وعدله ، وكان من اثر هذه الأشعار ان يبعث (رافع بن الليث بن نصر بن سيار) إلى(المأمون) يطلب منه الأمان بعد ان خرج عن طاعته ، لانه سمع بحسن سيرته في أهل عمله ، وأمانه إليهم ، وسارع إلى ذلك (هر ثمة)أيضا ، وخرج (رافع)ولحق بـ (المأمون).

ومن نتائج الشعر ودوره ما حصل للمعتصم حين أرسل له (طاهر بن الحسين) كتابا ضمنه أبياتا من الشعر كان لها اثر السحر في تحييده واخراجه من حلبة الصراع بعد ان مالـ (أمين)، وكاد ان يدخل الصراع مع جنده لصالح (الأمين)، ولولا هذا الكتاب وما تضمنه من شعر فلربما ما استطاع (المأمون) ان ينتصر على أخيه (الأمين) ولربما سارت الأمور على غير ما سارت عليه بعد ذلك، وما جاء في رسالة (طاهر بن الحسين) ما يأتي :

((أما بعد ، فانه عزيز علي ان اكتب إلى رجل من أهل بيت الخلافة بغير التأمير ،ولكنه بلغني انك تميل بالرأي ، وتصغي بالهوى إلى الناكث المخلوع ، وان كان كذلك فكثير ما كتبت به إليك ، وان كان غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته)). وكتب اسفل الكتاب هذه الأبيات التي هي محل الشاهد :

ركوبك الامر مالم تبل فرصته جهل ورأيك بالتغرير تغريـــر
اقبح بدنيا ينال المخطئون بـها حظ المصيبين والمغرور مغرور

وزاد عليها صاحب العقد الفريد أبياتا أخرى وهي:

فـازرع صـوابا وخـذ بـالحزم حيطتـه فلـــن يـــذم لاهـــل الحـــزم تـــدبير
فـان ظفـرت مـصيبا أو هلكـــت بـــه فأنـــت عنـــد ذوي الألبـــاب معـــذور
وان ظفـرت علـى جهـل ففـزت بـــه قالـــوا جهـــول أعانتـــه المقاديـــر

ويبدو إن(طاهر بن الحسين)أرسل بكتابه هذا على عجل ودون الرجوع إلى(المأمون)، لانه أدرك خطورة الموقف والدليل على ذلك هو قوله : ((فأنه عزيز علي ان اكتب إلى رجل من أهل بيت الخلافة بغير التامير ولكنه بلغني ...)) فكلمة بلغني تدل على انه هو نفسه الذي أرسل مباشرة ، لانه لم يشر إلى ان الامر بلغ الخليفة(المأمون)، او انه هو الذي أمره بالكتابة أليه ولو كان هذا الامر لذكره في كتابه ، لانه سيكون اكثر تأثيرا على (المعتصم) بمعنى انه سارع بالكتابة إلى المعتصم لانه أدرك خطورة الموقف الذي لا يتحمل التأخير ، وكان على يقين من قبول (المأمون)بذلك ،لانه يصب في منفعته ومنفعة الخلافة .

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لقد نجح طاهر بالشعر الذي أرسله إليه اكثر من نجاحه في رسالته التي سبقت الشعر ، لانه أقام عليه الحجة ونصحه في شعره ولم يبد هذا الامر في كتابه ، فلولا هذه الأبيات لكان للأمر وجه آخر ، لان المعتصم لو دخل الصراع لصالح الأمين بما له من قوة وجند لما كانت الغلبة للمامون.

نستنتج مما تقدم ان للشعر دورا في الأحداث السياسية مثلما كانت للأحداث السياسية دور في الشعر، ولا غرابة في هذا الدور والأثر في الأحداث السياسية ، طالما وقعت هذه الأحداث في دائرة الحياة الاجتماعية التي تؤثر وتتأثر بالشعر والأدب عموما ، لان للشعر روابطه ووشائجه مع الحياة الاجتماعية والسياسية ، وان كان النقد القديم لم يدخل ذلك في إطار نظرية النقد ولم يعمل له حسابا في النقد التطبيقي العملي وهو الاتجاه الغالب على نقدنا القديم.

وهذا الدور للشعر في الأحداث لم يكن مقصورا على أمة دون أمة ولا على عصر دون عصر ،ولكنه يتباين في القوة والضعف بين أمة وأمة وبين عصر وعصر.

واستطاع الشعر ان يوجه الأحداث ويسيرها مثلما وجهت الأحداث الشعر وسيرته وان كان النوع الثاني هو الأغلب ،ولكن هذه الغلبة لا تلغي اثر الشعر ودوره في الأحداث.

الهوامش

١) مناهج الدراسة الأدبية ، شكري فيصل: ٣٣.

٢) المصدر نفسه :٣٤.

٣) ينظر المصدر نفسه : ٣٥.

٤) ينظر المصدر نفسه: ٣٥-٣٦.

٥) العمدة في محاسن الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني،ج١،/٢٩.

٦) المصدر نفسه:ج٢٩/١.

٧) الأخبار الطوال ، الدينوري : ٣٦١ -٣٦٢ .

٨) تاريخ ابن خلدون، العلامة ابن خلدون ،ج٣: ١٢١ .

٩) ينظر طبقات الشعراء،ابن المعتز:٣٧.

١٠)شعر سد يف بن ميمون، ٢٢-٢٣؛ وينظر:طبقات الشعراء، ابن المعتز:٣٩؛ المثل السائر،ضياء الدين الموصلي،ج٢: ٢٣١ ؛ وقد ذكر صاحب الأغاني أبياتا أخرى لسد يف انشدها عند الخليفة أبي العباس السفاح للتحريض على الأمويين غير هذه الأبيات ،ينظر الأغاني ،أبو الفرج الأصفهاني ،ج٤: ٣٣٩ ؛ أما صاحب العمدة فقد نسب هذه الأبيات إلى شاعر آخر هو شبل بن عبد الله ، وزعم انه انشدها في حضرة عبد الله بن علي وهو من الولاة العباسيين على فلسطين . ينظر : العمدة ، ابن رشيق القيرواني ،ج١ : ٦٣-٦٤.

١١)شعر سد يف بن ميمون :٣٠؛وينظر العمدة ،ج١ : ٦٢؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٧ : ١٢٨؛ ورواها صاحب الأغاني بصيغة أخرى تختلف قليلا في صياغتها حيث قال:

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جـرد الـسيف وارفـع العفـو حتـى لاتـــرى فـــوق ظهرهـــا أمـــويا
لايغرنـك مـا تـرى مـن رجـال إن تحـــت الـــضلوع داء دويـــا
بطـر الـبغض فـي القـديم فاضـحى ثاويـــا فـــي قلـــوبهم مطويـــا

ينظر: الأغاني ،أبو الفرج الأصفهاني، ج٤: ٣٤٣ .

١٢) القائل في رواية صاحب الطبقات هو(أبو الغمر سليمان بن هشام) ينظر:طبقات الشعراء، ابن المعتز: ٣٩ـ٤٠ ، رواية الأغاني هو (الغمر بن يزيد بن عبد الملك)، ينظر ج٤: ٣٤٥؛ وفي رواية العمدة هو (سليمان بن هشام)،ج١: ٦٢.

١٣) ينظر طبقات الشعراء،ابن المعتز:٣٧.

١٤)أخبار الدولة العباسية، مؤلف مجهول : ١٩٤.

١٥) ينظر العمدة،ج١: ٦٣.

١٦) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي،ج١٤: ٧.

١٧) الأغاني ،ابو الفرج الأصفهاني،ج٢٣: ٢٥.

١٨) الأغاني ،ابو الفرج الأصفهاني،ج٢٣: ١٦٤.

١٩)ينظر الوزراء والكتاب، الجهشياري :٢١١.

٢٠) ينظر الشعر في الحاضرة العباسية،وديعة طه نجم: ٥٠.

٢١) طبقات الشعراء ،ابن المعتز:١٥٦.

٢٢) المصدر نفسه:٢٣٧.

٢٣) المصدر نفسه:١٧٢.

٢٤) الوزراء والكتاب:٢٢٨.

٢٥) ينظر مروج الذهب ومعادن الجوهر ،المسعودى،ج٣: ٣٢٢.

٢٦) الشعر في الحاضرة العباسية :٥٦.

وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من أهل خرا سان على المنصور بالهاشمية التي بناها المنصور بالقرب من الكوفة ،وكان (معن) متواريا بالقرب منهم فخرج متنكرا وقاتل قتالا شديدا أبا فيه عن نجدتهم وفرقهم فلما افرج عن المنصور ،قال له : من أنت ؟فكشف عن اللثام وقال أنا طلبتك يا أمير المؤمنين فآمنه وأكرمه وصار من خواصه وقال أنت الذي أعطيت مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفا على شرف بنو شيبان

فقال إنما أعطيته على قوله :

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مازلت يوم الهاشمية معلنا بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكانت وقاية من وقع كل مهند وسنـــان

فقال أحسنت.

ينظر وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ابن خلكان ،ج٥: ٢٤٦ـ ٢٤٧؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي العكبري الدمشقي، ج١: ٢٣١ـ٢٣٢.

٢٧) الشعر في الحاضرة العباسية:٥٦.

٢٨) المصدر نفسه:٥٨.

٢٩) تاريخ بغداد ،الخطيب البغدادي ،ج١٣: ٢٤٢.

٣٠) تنظر أخباره في تاريخ بغداد،ج١٣: ٢٣٦.

٣١) مقدمة ديوان صريع الغواني،تحقيق سامي الدهان:٢٣.

٣٢) الشعر في الحاضرة العباسية :٥٩.

٣٣) تاريخ الطبري،ج٤: ٦٢٦.

٣٤) إنصاف الخليفة الأمين بين الأدب والتاريخ ،واجدة مجيد الاطرقجي:٢٩.

٣٥) تاريخ الطبري،ج٥: ٤٥.

٣٦) المصدر نفسه،ج٥: ٣١.

٣٧) المصدر نفسه،ج٥: ٣٣.

٣٨) المصدر نفسه،ج٥: ١٠٣.

٣٩) العقد الفريد ،ابن عبد ربه ،ج٤ :٢٤٢ .

٤٠) الشعر في إطار العصر الثوري، د.عز الدين إسماعيل : ٥.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الأولية:

- الجهشياري ،ابن عبدوس، الوزراء والكتاب ،تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الابياري،عبد الحفيظ شلبي،مطبعة مصطفى البابي،١٩٣٨.
- ابن أبي الحديد ، ٦٥٦ هـ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب العربية، د.ت .
- الخطيب البغدادي، ت٤٦٣ هـ، تاريخ بغداد ،تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ابن خلدون،عبدا لرحمن ،ت ٨٠٨هـ، تاريخ ابن خلدون، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د، ت.
- ابن خلكان،أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر ،ت٦٨١ هـ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق د.إحسان عباس،دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨.

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ الدمشقي،عبدا لحي بن احمد العكري، ت١٠٨٩، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية،بيروت،د.ت.
ـ الدينوري،أبو حنيفة ت٢٨٢ هـ، الأخبار الطوال،تحقيق عبدا لمنعم عامر،ط١،دار إحياء الكتب العربية،١٩٦٠.
ـ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده،تحقيق محمد محيي الدين عبدا لحميد، ط٤، دار الجيل، بيروت،١٩٧٢.
ـ شعر سديف بن ميمون،تحقيق رضوان مهدي العبود،مطبعة العربي، النجف،١٩٧٤.
الأصفهاني،أبو الفرج ،ت ٣٥٦هـ، الأغاني،تحقيق سمير جابر،ط٢،دارالفكر، بيروت، د.ت.
ـ الطبري،مجمد بن جرير ت٣١٠ هـ، تاريخ الطبري،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت،١٤٠٧هـ .
ـ ابن عبد ربه الأندلسي ،أبي عمر احمد بن محمد، العقد الفريد ، تحقيق احمد آمين ، احمد الزين ،إبراهيم الابياري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة ،١٩٦٧ .
ـ مجهول المؤلف (من القرن الثالث الهجري)، أخبار الدولة العباسية،تحقيق عبدا لعزيز الدوري،عبد الجبار المطلبي، دار صادر، بيروت ، د.ت .
ـ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،مطبعة السعادة، مصر،١٩٥٨.
ـ ابن المعتز، طبقات الشعراء،تحقيق عبدا لستار احمد فراج،دار المعارف،د.ت.
ـ الموصلي،ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبدا لكريم، المثل السائر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية،بيروت،١٩٩٥.

المراجع الثانوية:

ـ إسماعيل ، عزالدين، الشعر في إطار العصر الثوري ،دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣ .
ـ الاطرقجي، واجدة مجيد، إنصاف الخليفة المأمون بين الأدب والتاريخ،المكتبة الثقافية،بغداد،١٩٨١.
ـ ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد) ،تحقيق سامي الدهان ، دار المعارف ،١٩٥٨ .
ـ فيصل،شكري، مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي،ط٣ ،دار العلم للملايين،بيروت، ١٩٧٣ .
ـ نجم ،وديعة طه، الشعر في الحضرة العباسية، الكويت،١٩٧٧.

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com